

مسائل من الرسم العثماني في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي عرض ودراسة

أ.د. أسامة عبد الوهاب حمد الحياتي
رئيس قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية في كلية التربية، الجامعة العراقية، بغداد
usama.hamad@aliraqia.edu.iq

مستخلص:

يُعنى هذا البحث بدراسة مسائل الرسم العثماني في تفسير الإمام أبي عبد الله القرطبي (ت 671هـ)، وتهدف الدراسة إلى تجلية مسائل الرسم عند القرطبي، ومدى عنايته بمباحثه وظواهره وتعليقاته، وتظهر الدراسة العلاقة بين الرسم والتفسير والقراءات، وقد خلصت الدراسة إلى أن للرسم العثماني قدرا لا بأس به عند القرطبي، وقد أفرد له في مقدمته أبوابا تحدث فيها عن تاريخه بالتفصيل، زيادة على ما أورده من نقول عن الأئمة الأعلام في تحليل ظواهره من الحذف والزيادة والبدل والمهمز والمسائل المتعلقة بتوجيه القراءات باعتبار رسم المصحف، وغيرها من المسائل التي عرضها القرطبي في تفسيره الجامع.
الكلمات المفتاحية: مسائل، الرسم العثماني، تفسير، القرطبي.

Issues of the Ottoman Script in Al-Qurtubi's "Al-Jami' Li Ahkam Al-Qur'an": Presentation and Study

Prof. Dr. Osama Abdul Wahab Hamad Al-Hayani

Head of the Department of Qur'anic Sciences and Islamic Education, College of Education, Iraqi University, Baghdad.

Abstract :

This research focuses on the study of Ottoman script issues in the exegesis of Imam Abu Abdullah Al-Qurtubi (d. 671 AH). The study aims to clarify Al-Qurtubi's approach to the matters of the script, his attention to its topics, features, and explanations. It also highlights the relationship between the script, exegesis, and Qur'anic readings. The study concluded that Al-Qurtubi accorded significant importance to the Ottoman script, dedicating sections in his introduction to detailing its history. Additionally, he cited authoritative scholars to explain its phenomena, such as omission, addition, substitution, hamzah, and issues related to directing Qur'anic readings based on the script of the Mushaf, among other topics that Al-Qurtubi addressed in his comprehensive exegesis.

Keywords: Issues, Ottoman Script, Exegesis, Al-Qurtubi.

أهداف البحث

يهدف البحث إلى جمع مسائل الرسم العثماني من كتب التفسير، واختيار أحد أبرز التفاسير الموسوعية وهو الجامع لأحكام القرآن للقرطبي. وكذا يهدف البحث إلى معرفة مدى إفادة المفسر من رسم المصحف في بيان معاني القرآن، ومكانة هذا العلم عند الإمام القرطبي.

الدراسات السابقة:

لم أقف بحسب علمي وبحثي على موضوع تناول رسم المصحف عند الإمام القرطبي في تفسيره.

خطة البحث:

المبحث الأول: قواعد الرسم العثماني كما قررها القرطبي في تفسيره.

المبحث الثاني: ظواهر الرسم العثماني في تفسير القرطبي وتوجيهها.

المبحث الثالث: أثر ظواهر الرسم في التفسير عند القرطبي.

الخاتمة. وتضمنت أهم نتائج البحث.

المبحث الأول : قواعد الرسم العثماني

كما قررها القرطبي في تفسيره

ذكر الإمام القرطبي عند تفسيره لبعض الآيات قواعد عامة تتعلق برسم المصحف الشريف، يمكن الرجوع إليها والإفادة منها في دراسة علم رسم المصحف، ومنها:

• أولاً: لا تجوز مخالفة مصحف الإمام -مصحف عثمان-؛ لأن الأمة أجمعت عليه:

بوب القرطبي في مقدمته باباً قال فيه: (باب ما جاء من الحجة في الرد على من طعن في القرآن وخالف مصحف عثمان بالزيادة والنقصان)، ذكر

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

فإن تفسير القرطبي من التفاسير الموسوعية التي اشتملت على شتى العلوم والفنون زيادة على تفسير القرآن الكريم كالفقه والأصول والحديث والقراءات واللغة والنحو والصرف وغيرها من العلوم، وقد تناول بعض الباحثين دراسة هذه العلوم في بحوث علمية أو رسائل جامعية، وثمة علم آخر وجدته منشوراً في صفحات هذا التفسير لم يعرض له أحد بحسب علمي للدراسة والبحث، وهو علم رسم المصحف، أو ما يُسمى اصطلاحاً بالرسم العثماني.

وقد حفل تفسير القرطبي بنصوص كثيرة ومباحث غزيرة في رسم المصحف تستدعي الوقوف عندها، فثمة علاقة وثيقة بين رسم المصحف والتفسير قد أحسن الإمام القرطبي توظيفها في تفسيره.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث كونه متعلقاً بعلم أصيل من علوم القرآن الكريم وهو علم رسم المصحف الذي تعد موافقته لأحد المصاحف العثمانية ركناً أساسياً لقبول القراءة الصحيحة.

وكذا تبرز أهمية البحث في إظهار إسهامات المفسرين في علم رسم المصحف تقعيداً وتوجيهاً وتعليلاً ومنهم الإمام القرطبي.

وإرفاد المكتبة القرآنية ببحث مستقل يجمع فيه مسائل الرسم العثماني عند القرطبي في تفسيره لم يسبق أن بحثه أحد بحسب اطلاعي.

فإن تاب وإلا ضربت عنقه⁽³⁾.

وذكر القرطبي هذا الأمر في أكثر من موضع في تفسيره، فهو يقرر أن مصحف عثمان لا تجوز مخالفته، إذ قال في أثناء تفسيره وذكره للقراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النور: 27]: وروي عن ابن عباس وبعض الناس يقول عن سعيد بن جبير: ﴿حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا﴾ خطأ أو وهم من الكاتب، إنما هو: (حتى تستأذِنوا). قال القرطبي: وهذا غير صحيح عن ابن عباس وغيره، فإن مصاحف الإسلام كلها قد ثبت فيها ﴿حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا﴾، وصح الإجماع فيها من لدن مدة عثمان، فهي التي لا يجوز خلافها. وإطلاق الخطأ والوهم على الكاتب في لفظ أجمع الصحابة عليه قول لا يصح عن ابن عباس، وقد قال عز وجل: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: 24]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]⁽⁴⁾.

ومما نقله القرطبي أيضاً في مسألة متابعة مصحف الإمام وعدم مخالفته في أثناء ذكره للخلاف بين الصحابة والمفسرين في معنى ﴿وَأَلِّمُوا الصَّلَاةَ الْوَسْطَى﴾ [البقرة: 238]: (وهذا الاختلاف في الصلاة الوسطى يدل على بطلان من أثبت (وصلاة العصر) المذكور في حديث أبي يونس مولى عائشة حين أمرته أن يكتب لها مصحفاً قرآناً⁽⁵⁾). قال علماؤنا: وإنما ذلك كالتفسير من النبي صلى

فيه أن من أنكر حروفاً من المصحف الذي أمر بنسخه عثمان رضي الله عنه وإجماع الصحابة عليه يعد كافراً، وأن ما نقل عن بعض الصحابة من مخالفة مصحف الإمام بالزيادة والنقصان فهو على جهة التفسير والبيان، لا أن ذلك قرآن يتلى، وكذلك ما نسخ لفظه وحكمه أو لفظه دون حكمه ليس بقرآن⁽¹⁾.

قال القرطبي: (قال أبو بكر: وذكر هذا الإنسان أن أبي بن كعب هو الذي قرأ "كأن لم تغن بالأمس وما كان الله ليهلكها إلا بذنوب أهلها" وذلك باطل، لأن عبد الله بن كثير قرأ على مجاهد، ومجاهد قرأ على ابن عباس، وابن عباس قرأ القرآن على أبي بن كعب "حصيذا كأن لم تغن بالأمس كذلك تفصل الآيات"، في رواية وقرأ أبي القرآن على رسول الله ﷺ، وهذا الإسناد متصل بالرسول عليه السلام نقله أهل العدالة والصيانة، وإذا صح عن رسول الله ﷺ أمر لم يؤخذ بحديث يخالفه⁽²⁾). وفي هذا النص إشارة إلى أن ما نقل عن بعض الصحابة رضي الله عنهم من قراءات وحروف لم تصح عنهم سندا، وأن الأسانيد الصحيحة تثبت خلاف ما نسب إليهم.

واسترسل القرطبي قائلاً: (ومما يكون عن عمر بن الخطاب أنه قرأ: «غير المغضوب عليهم وغير الضالين» مع نظائر لهذه الحروف كثيرة لم ينقلها أهل العلم على أن الصلاة بها تحل، ولا على أنها معارض بها مصحف عثمان، لأنها حروف لو جحدتها جاحد أنها من القرآن لم يكن كافراً، والقرآن الذي جمعه عثمان بموافقة الصحابة له لو أنكر بعضه منكر كان كافراً، حكمه حكم المرتد يستتاب،

(3) الجامع لأحكام القرآن: 132-131/1.

(4) الجامع لأحكام القرآن: 15/189.

(5) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه: رقم: (629).

1/437، وأحمد في مسنده: رقم: (24448): 40/505.

(1) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: 134-126/1.

(2) الجامع لأحكام القرآن: 1/131.

الله عليه وسلم⁽¹⁾. والذي يعنيه القرطبي بطلان إثبات (وصلاة العصر) في المصحف، لأنه خلاف المصحف الإمام وإجماع المسلمين.

ثم تابع القرطبي قوله قائلًا: (وقال أبو بكر الأنباري: وهذا الخلاف في هذا اللفظ المزيديدل على بطلانه، وصحة ما في الإمام مصحف جماعة المسلمين)⁽²⁾.

وحكى القرطبي في أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ [النساء: 162]، ما ورد من روايات باطلة نسبت إلى عائشة رضي الله عنها في حق كتبة المصحف، إذ قال: روي أن عائشة رضي الله عنها سألت عن هذه الآية، وعن قوله: ﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَاجِرِينَ﴾ [طه: 63]، وقوله: ﴿وَالصَّابِرُونَ﴾ [المائدة: 69]، فقالت للسائل: يا ابن أخي الكتاب أخطأوا⁽³⁾. وقال أبان بن عثمان: كان الكاتب يملأ عليه فيكتب فكتب ﴿لَكِنَّ الرِّسْخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [النساء: 162]، ثم قال: ما أكتب؟ فقيل له: اكتب ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ [النساء: 162] فمن ثم وقع هذا⁽⁴⁾.

وتعقب القرطبي هذه الروايات بنقله كلام القشيري إذ قال: (قال القشيري: وهذا المسلك باطل؛ لأن الذين جمعوا الكتاب كانوا قدوة في اللغة، فلا يظن بهم أنهم يدرجون في القرآن ما لم ينزل). ثم رجح القرطبي قول سيويه والخليل في صحة انتصاب ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ على المدح، فقال: (وأصح هذه الأقوال قول سيويه وهو قول

الخليل)⁽⁵⁾.

قال ابن هشام الأنصاري معقبا على الروايات المنسوبة إلى عائشة رضي الله عنها: (وهذا خبر باطل لا يصح من وجوه؛ أحدها: أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتسارعون إلى إنكار أدنى المنكرات، فكيف يُقرون اللحن في القرآن؟!، والثاني: أن العرب كانت تستقبح اللحن غاية الاستقبح في الكلام، فكيف لا يستقبحون بقاءه في المصحف؟! ثم قال، نقلا عن المهدي في شرح الهداية: ولم يوجد في القرآن العظيم حرف واحد إلا وله وجه صحيح في العربية، وقد قال الله تعالى ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: 42] والقرآن محفوظ من اللحن والزيادة والنقص)⁽⁶⁾.

• ثانياً: رسم المصحف سنة:

اشتهر عن علماء القراءة من الصحابة والتابعين قولهم: (القراءة سنة يأخذها الآخر عن الأول)⁽⁷⁾، وقال الداني: (الأخبار الواردة عن السلف والأئمة العلماء بهذا المعنى كثيرة)⁽⁸⁾. ومعنى قولهم: القراءة سنة متبعة، أي طريقة متبعة تلقاها الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذها التابعون عن الصحابة وهكذا⁽⁹⁾.

واشتهر وصف قراءة القرآن بأنها سنة، ولم يشتهر وصف رسم المصحف بذلك، غير أني وقفت على بعض النصوص القليلة التي تشير إلى هذا المعنى، ومنها قول الزمخشري في أثناء تفسيره

(1) الجامع لأحكام القرآن: 4/182.

(2) الجامع لأحكام القرآن: 4/183.

(3) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن: ص 287، والفراء في معاني القرآن: 2/183، والطبري في تفسيره: 7/681،

وابن أبي داود في المصاحف: ص 129.

(4) الجامع لأحكام القرآن: 4/182.

(5) الجامع لأحكام القرآن: 4/183.

(6) ينظر: ابن هشام: شرح شذور الذهب: ص 80-79.

(7) ينظر: ابن مجاهد: السبعة: ص 55-49.

(8) الداني: جامع البيان: 1/150.

(9) ينظر: الحمد، غانم قدوري: أبحاث في رسم المصحف:

ص 95-94.

عن حذف الياء في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ [هود: 105] إذ قال: (والذي أراه اتباع المصحف وإجماع القراء، لأن القراءة سنة)⁽⁷⁾.

وفي موضع آخر في أثناء تفسير قوله تعالى: ﴿أَكْرَمَنَ﴾ [الفجر: 15]، و﴿أَهْلَنَ﴾ [الفجر: 16] ذكر القرطبي مسألة حذف الياء فيهما واتفاق المصاحف على حذفها بخلاف قراءتها في الوصل، والكل متفق على حذفها في الوقف اتباعاً لخط المصحف، قال القرطبي: وقال الباكون بحذفها، لأنها وقعت في الموضعين بغير ياء، والسنة ألا يخالف خط المصحف، لأنه إجماع الصحابة⁽⁸⁾.

● ثالثاً: موافقة الرسم العثماني شرط لصحة القراءة:

من القواعد المهمة التي استند عليها علماء القراءات في تمييز القراءات الصحيحة عما سواها، أن تكون القراءة موافقة لخط المصحف - أي مصحف عثمان - رضي الله عنه، وقد نقل القرطبي في مواضع عدة من تفسيره كلام الأئمة القراء في شروط القراءة الصحيحة، وهي صحة السند، وموافقة الخط، وموافقة وجه من وجوه العربية، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة⁽⁹⁾.

ولم تكن هذه الضوابط أو الأركان من وضع المتأخرين من علماء القراء، فقد اعتمد عليها أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه الكبير في القراءات، كما نقل عنه أبو بكر الأنباري أنه قال وهو يتحدث عن الوقف على هاء السكت: (فإذا صار قارئها إلى السكت عندها على ثبوت الهاءات اجتمعت له المعاني الثلاثية؛ من أن يكون مصيباً في العربية

لقوله تعالى: (مال هذا الرسول): (وقعت اللام في المصحف مفصولة عن (هذا) خارجة عن أوضاع الخط العربي. وخط المصحف سنة⁽¹⁾ لا تغير)⁽²⁾، وكذا قال السخاوي في تفسيره⁽³⁾، والنسفي في المدارك⁽⁴⁾، وكلهم نقلها عن الزمخشري.

وأما القرطبي فقد نقل كلاماً نفيساً لابن الأنباري في هذه المسألة في أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدْنِكَ﴾ [يونس: 92]، (وحكى علقمة عن عبد الله أنه قرأ (بندائك) من النداء. قال أبو بكر الأنباري: وليس بمخالف لهجاء مصحفنا، إذ سبيله أن يكتب بياء وكاف بعد الدال، لأن الألف تسقط من (ندائك) في ترتيب خط المصحف كما سقط من: ﴿الظَّلْمَتِ﴾، و﴿وَالسَّمَوَاتِ﴾، فإذا وقع بها الحذف استوى هجاء بدنك وندائك، على أن هذه القراءة مرغوب عنها لشذوذها وخلافها ما عليه عامة المسلمين، والقراءة سنة يأخذها آخر عن أول، وفي معناها نقص عن تأويل قراءتنا)⁽⁵⁾. وكذا ذكر القرطبي في موضع آخر في أثناء تعقيبه على قراءة الرفع في قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ﴾ [الأنفال: 32] إذ نقل قول الزجاج بجواز القراءة بالرفع عند النحويين، واستدرك بقوله: (لكن القراءة سنة، لا يقرأ فيها إلا بقراءة مروية)⁽⁶⁾. ونقل القرطبي قول الزجاج واختاره في أثناء حديثه

(1) أي: سنة متبعة في الكتابة سنّها كُتِبَ المصاحف من الصحابة رضي الله عنه لا أنه سنة بمفهومها الشرعي تلقاها الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(2) الزمخشري: الكشاف: 3/265.

(3) ينظر: السخاوي: تفسير القرآن العظيم: 1/627.

(4) ينظر: النسفي: حافظ الدين عبد الله بن أحمد: مدارك

التنزيل وحقائق التأويل: 2/526.

(5) الجامع لأحكام القرآن: 11/48.

(6) الجامع لأحكام القرآن: 9/495.

(7) الجامع لأحكام القرآن: 11/209.

(8) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 22/277.

(9) ينظر: ابن الجزري: النشر في القراءات العشر: 1/9.

القراءة، وهي مخالفة لجميع المصاحف⁽⁵⁾. وكلام النحاس في هذه القراءة يقتضي ردها من وجهين: الأول تصريحه بعدم معرفة من قرأ بهذا الوجه، والثاني: مخالفة خط المصاحف.

ونقل القرطبي ما أورده النحاس من قراءات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَسَجْرَانٌ﴾ [طه: 63] إذ قال: (قال النحاس: فهذه ثلاث قراءات قد رواها الجماعة عن الأئمة، وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قرأ: «إن هذان إلا ساحران» وقال الكسائي في قراءة عبد الله: «إن هذان ساحران» بغير لام، وقال الفراء: في حرف أبي «إن ذان إلا ساحران» فهذه ثلاث قراءات أخرى تحمل على التفسير لا أنها جائز أن يقرأ بها لمخالفتها المصحف⁽⁶⁾. وفي هذا النص الذي نقله القرطبي إشارة إلى عدم جواز القراءة بهذه القراءات لمخالفتها خط المصحف، وبذلك تعد هذه القراءات شاذة.

وذكر القرطبي في موضع آخر القراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ﴾ [مريم: 67]، فقال: (وفي حرف أبي «أولا يتذكر» وهذه القراءة على التفسير؛ لأنها مخالفة لخط المصحف⁽⁷⁾).

ومما تجدر الإشارة إليه أن القرطبي لما تحدث عن الشرط الأول للقراءة الصحيحة وهو موافقة المصحف، نقل نصوصاً للأئمة القراء يفهم منها الشرط الثاني وهو موافقة العربية، إذ نقل في تفسيره نصاً عن مكّي بن أبي طالب القيسي في قراءة الجمهور في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤَهُمْ﴾ [الأنعام: 137]

وموافقاً للخط وغير خارج من قراءة القراء⁽¹⁾. وبعد الاستقراء والتتبع في تفسير القرطبي وجدت نصوصاً للأئمة يفهم منها شروط القراءة الصحيحة، ومنها شرط موافقة المصحف:

قال القرطبي: (أما شاذ القراءة عن المصاحف المتواترة فليست بقرآن، ولا يعمل بها على أنها منه، وأحسن محاملها أن تكون بيان تأويل مذهب من نسبت إليه كقراءة ابن مسعود: فصيام ثلاثة أيام متتابعات. فأما لو صرح الراوي بسماعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختلف العلماء في العمل بذلك على قولين: النفي والإثبات، وجه النفي أن الراوي لم يروه في معرض الخبر بل في معرض القرآن، ولم يثبت فلا يثبت. والوجه الثاني أنه وإن لم يثبت كونه قرآناً فقد ثبت كونه سنة، وذلك يوجب العمل كسائر أخبار الأحاد⁽²⁾).

وعدّ القرطبي موافقة خط المصحف شرطاً لقبول القراءة، إذ قال: (إن التلاوة: هو ما كان في خط المصحف⁽³⁾). وعدّ مخالفة خط المصاحف شذوذاً ونفى القرآنية عنه، إذ نقل عن بعض العلماء قوله: (أما شاذ القراءة عن المصاحف المتواترة فليست بقرآن⁽⁴⁾).

وفي أثناء تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ﴾ [النمل: 92] نقل القرطبي كلام الفراء في ذكر قراءتين فيها، ورد النحاس لإحدى القراءتين فقال: (قال الفراء: وفي إحدى القراءتين (وَأَنْ أَتْلُ)، وزعم أنه في موضع جزم بالأمر، فلذلك حذف منه الواو، قال النحاس: ولا نعرف أحداً قرأ هذه

(5) ينظر: الفراء: معاني القرآن: 302-301/2، والنحاس: إعراب القرآن: 3/154، والجامع لأحكام القرآن: 16/226.

(6) الجامع لأحكام القرآن: 90-89/14.

(7) الجامع لأحكام القرآن: 13/485.

(1) ابن الأنباري: إيضاح الوقف والابتداء: 1/311.

(2) نقل هذا النص القرطبي وأهم قائله. ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 1/80.

(3) الجامع لأحكام القرآن: 22/406.

(4) الجامع لأحكام القرآن: 1/80.

وتكلم القرطبي عن حذف الواو في أفعال غير جازم إذ قال: وحُذفت الواو من: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ﴾ [الإسراء: 11] في اللفظ والخط، ولم تحذف في المعنى؛ لأن موضعها رفع، فحُذفت لاستقبالها اللام الساكنة، كقوله تعالى: ﴿سَدَّعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: 18]، ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَطْلَ﴾ [الشورى: 24]، و﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ [القمر: 6] وقال حذف الواوات لالتقاء الساكنين⁽⁵⁾.

وتحدث في موضع آخر عن حذف الياءات في بعض الآيات إذ قال: وحُذفت الياء من ﴿يُؤْتِ﴾ في الخط كما حُذفت في اللفظ؛ لسكونها وسكون اللام بعدها، نحو قوله تعالى: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: 146]، ومثله ﴿يُنَادِ الْمُنَادِ﴾ [ق: 41]، ﴿فَمَا تُغْنِ التُّذْرُ﴾ [القمر: 5]⁽⁶⁾.

وقال في موضع آخر: (ووقع في المصحف ﴿أَتَّبِعُونَ﴾ [غافر: 38] بغير ياء. وقرأها يعقوب وابن كثير بالإثبات في الوصل والوقف. وحذفها أبو عمرو ونافع في الوقف، وأثبتوها في الوصل، إلا ورثا حذفها في الحالين، وكذلك الباقون؛ لأنها وقعت في المصحف بغير ياء، ومن أثبتها فعلى الأصل)⁽⁷⁾.

وعلى القرطبي أكثر أمثلة حذف الياء من آخر الكلمات بتعليين:

الأول: حذف الياء بناء على حذفها عند الوقف لكونها رأس آية، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَأَيُّنِي فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة: 40] فقال: (سقطت الياء بعد النون لأنها رأس آية)⁽⁸⁾. وقال في موضع آخر في

فقال: (قال مكّي: وهذه القراءة هي الاختيار؛ لصحة الإعراب فيها؛ ولأن عليها الجماعة)⁽¹⁾. وقال القرطبي في موضع آخر في قوله تعالى: ﴿تَدَّكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: 201]: (وقرأ سعيد بن جبير: «تَدَّكَّرُوا» بتشديد الذال. ولا وجه له في العربية، ذكره النحاس)⁽²⁾.

ونقل القرطبي في تفسيره نصاً عن المهدي في أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ [الشعراء: 210] (وقرأ الحسن ومحمد بن السميع: «وما تنزلت به الشياطين»)، قال المهدي: وهو غير جائز في العربية ومخالف للخط)⁽³⁾.

المبحث الثاني : توجيه ظواهر الرسم

العثماني في تفسير القرطبي

اعتنى الإمام القرطبي بتوجيه كثير من ظواهر الرسم التي خالف فيها الخط النطق، وفيما يأتي بعض مما أورده القرطبي في تفسيره:

أولاً: الحذف:

إن أكثر ما وقع في رسم المصحف من الحذف في حروف المد الثلاثة: الألف، والواو، والياء، والألف أكثر الثلاثة حذفاً، وأورد القرطبي أمثلة عديدة للحذف في تفسيره، منها:

قوله في الألف في (بسم الله): (تكتب بغير ألف استغني عنها بباء الإلصاق في اللفظ والخط؛ لكثرة الاستعمال، بخلاف قوله: ﴿أَقْرَأُ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: 1] فإنها لم تحذف لقلّة الاستعمال)⁽⁴⁾.

(1) الكشف عن وجوه القراءات: 1/454، الجامع لأحكام القرآن: 9/40.

(2) ينظر: النحاس: إعراب القرآن: 2/86، والجامع لأحكام القرآن: 9/426.

(3) الجامع لأحكام القرآن: 16/81.

(4) الجامع لأحكام القرآن: 1/154.

(5) الجامع لأحكام القرآن: 13/35، وينظر المصدر نفسه: 7/197.

(6) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 7/197.

(7) الجامع لأحكام القرآن: 18/361.

(8) الجامع لأحكام القرآن: 2/9.

أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْفُرُونَ﴾ [البقرة: 152]: (وحذفت الياء لأنها رأس آية)⁽¹⁾.

وقال في موضع آخر في تفسيره وهو يتحدث عن حذف الياء في قوله تعالى: ﴿أَكْرَمِينَ﴾ [الفجر: 15]، و﴿أَهَانِينَ﴾ [الفجر: 16]: (وأثبت البزي وابن محيصن ويعقوب الياء من (أكرم من)، و(أهانن) في الحالين؛ لأنها اسم فلا تحذف. وأثبتها المديون في الوصل دون الوقف اتباعاً للمصحف. وخير أبو عمرو في إثباتها في الوصل أو حذفها؛ لأنها رأس آية، وحذفها في الوقف لخط المصحف. الباقيون بحذفها؛ لأنها وقعت في الموضعين بغير ياء، والسنة ألا يخالف خط المصحف، لأنه إجماع الصحابة)⁽²⁾.

الثاني: حذف الياء بناء على حذفها في النطق عند الوصل، وذلك في مثل قوله تعالى: (صال الجحيم) قال القرطبي: (والأصل في قراءة الجماعة: (صالي) بالياء، فحذفها الكاتب من الخط؛ لسقوطها في اللفظ)⁽³⁾.

● ثانياً: الزيادة:

لم أجد أمثلة كثيرة في تفسير القرطبي لتوجيه الزيادة في الرسم، مع أن ثمة كلمات زيدت فيها الواو أو الياء أو الألف، ولعل سبب ذلك هو عدم تعلق الزيادة بالقراءة، وتنحصر الأمثلة التي ذكرها القرطبي وزيد في رسمها حرف، في ثلاثة أنواع:

الأول: زيادة ألف بعد اللام ألف: وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا وَضَعُوا خِلْدَكُمْ﴾ [التوبة: 47]، وفي ﴿أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾ [النمل: 21]، وقد اعتنى القرطبي بهذين الموضعين؛ لأن زيادة الألف في الموضعين تؤدي إلى ما يشبه (لا) النافية قبل الفعل،

وهي ليست كذلك.

قال القرطبي وهو يفسر زيادة الألف في قوله تعالى: ﴿الظُّنُونُ﴾ [الأحزاب: 10] وأمثالها: (وقرأ أبو عمرو والجاحدري ويعقوب وحمزة بحذفها في الوصل والوقف معاً. قالوا: هي زائدة في الخط كما زيدت الألف في قوله تعالى: ﴿وَلَا وَضَعُوا خِلْدَكُمْ﴾ فكتبوها كذلك، وغير هذا)⁽⁴⁾.

قال الزجاج: وإنما وقعوا في ذلك لأن الفتحة في العبرانية وكثير من الألسنة تكتب ألفاً⁽⁵⁾، وتبعه الزمخشري⁽⁶⁾.

وقال ابن عطية: ويحتمل أن تمطل حركة اللام فيحدث بين اللام والهمزة التي من أوضع. وقيل: ذلك لخشونة هجاء الأولين⁽⁷⁾، يعني لعدم تهذيب الرسم عند الأقدمين من العرب، قال الزمخشري: ومثل ذلك كتبوا: ﴿أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾ في سورة النمل: [21]⁽⁸⁾.

وقال الفراء متعقبا حذف الياء وإثباتها في رسم كلمة (تغن)، و(تغني): (ألا ترى أنهم كتبوا ﴿فَمَا تُغْنِي الثُّدْرُ﴾ [القمر: 5] بغير ياء، ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَاللُّدْرُ﴾ [يونس: 101] بالياء، وهو من سوء هجاء الأولين)⁽⁹⁾.

وتبع الفراء كذلك ابن خلدون في المقدمة وهو يتحدث عن الخط عند العرب حيث قال: (كان الخط العربي لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الأحكام والإتقان والإجادة ولا إلى التوسط؛ لمكان العرب من البداوة والتوحش وبعدهم عن الصنائع،

(4) الجامع لأحكام القرآن: 17/93.

(5) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/41.

(6) الكشاف: 2/277.

(7) المحرر الوجيز: 3/41.

(8) ينظر: أبحاث في رسم المصحف وضبطه: ص 116.

(9) معاني القرآن: 1/439.

(1) الجامع لأحكام القرآن: 3/461.

(2) الجامع لأحكام القرآن: 22/277.

(3) الجامع لأحكام القرآن: 18/113.

﴿السَّيْلُ﴾ آخر السورة، فأثبت ألفاتها في الوقف والوصل نافع وابن عامر. وروي عن أبي عمرو والكسائي تمسكا بخط المصحف، مصحف عثمان، وجميع المصاحف في جميع البلدان⁽⁴⁾. ثم نقل كلاما لابن الأنباري إذ قال: (قال ابن الأنباري: ولم يخالف المصحف من قرأ: (الظنون)، و(السييل)، و(الرسول) بغير ألف في الحروف الثلاثة، وخطهن في المصحف بألف؛ لأن الألف التي في ﴿أَطْعَنَا﴾ [الأحزاب: 66] والداخلية في أول (الرسول)، و(الظنون)، و(السييل)، كفى من الألف المتطرفة المتأخرة)⁽⁵⁾.

ثم ذكر القرطبي تعليلا آخر إذ قال: (وفيه حجة أخرى: أن الألف أنزلت منزلة الفتحة وما يلحق دعامتها للحركة التي تسبق، والنية فيه السقوط، فلما عمل على هذا كانت الألف مع الفتحة كالشيء الواحد يوجب الوقف سقوطها، ويعمل على أن صورة الألف في الخط لا توجب موضعا في اللفظ، وأنها كالألف في ﴿سَجْرَيْنَ﴾، وفي ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وفي ﴿وَعَدْنَا مُوسَى﴾ وما يشبههن مما يُحذف من الخط وهو موجود في اللفظ، ويثبت في اللفظ، وهو مُسْقَطٌ من الخط)⁽⁶⁾.

الثالث: زيادة هاء السكت في قوله تعالى: ﴿كِتَابِيَّةٌ﴾ [الحاقة: 19] قال القرطبي: (والأصل: (كتابي) فأدخلت الهاء لتبين فتحة الياء، وكانت الهاء للوقف، وكذلك في أخواته: ﴿حِسَابِيَّةٌ﴾ [الحاقة: 20]، و﴿مَالِيَّةٌ﴾ [الحاقة: 28]، و﴿سُلْطَانِيَّةٌ﴾ [الحاقة: 29] وفي القارعة: [10]: ﴿مَا هِيَ﴾. وقراءة العامة بالهاء فيهن في الوقف والوصل معاً، لأنهن وقعن

وانظر ما وقع لأجل ذلك في رسمهم المصحف حيث رسمه الصحابة بخطوطهم وكانت غير مستحكمة في الإجادة فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته أقيسة رسوم صناعة الخط عند أهلها)⁽¹⁾.

قلت: هذا القول مردود على أصحابه وهم قلة، ولم يتابعهم أحد من العلماء على ذلك، وهو خلاف إجماع القراء والنحاة والمحققين، ثم إن هذا القول ضعيف وقاصر، ولعل الذي دفعهم إلى هذا القول محاولتهم توجيه بعض الظواهر فلما لم يهتدوا إلى تعليل لغوي أو تاريخي أو صوتي أو غير ذلك لم يملكو إلا أن يرموا هذا الرسم بسوء الهجاء. ولا يصح ذلك. فقد علل العلماء كل هذه الظواهر، وما زالوا يكتشفون أسراراً وحكماً من هذا الرسم⁽²⁾.

وسأكتفي بنقل تعليق صلاح الدين المنجد رحمه الله على ما قاله ابن خلدون إذ قال: (هو جهل منه، لأن الصحابة رضي الله عنهم اتبعوا كما ذكرنا سابقا الرسم الذي وصل إليهم من الكتابة النبطية المتطورة، أما رسوم ما اقتضته صناعة الخط، فكانت وليدة مراحل جديدة من التطور والحضارة والعمران، تحققت في ما بعد بواسطة الخط الكوفي وغيره من أنواع الخطوط)⁽³⁾.

الثاني: زيادة الألف في ﴿الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب: 10]، و﴿الرَّسُولَا﴾ [الأحزاب: 66]، و﴿السَّيْلَا﴾ [الأحزاب: 67].

قال القرطبي في تعليل زيادتها: (واختلف القراء في قوله تعالى: ﴿الظُّنُونَا﴾، و﴿الرَّسُولَا﴾،

(1) ينظر: المقدمة، لابن خلدون: ص 418 - 419.

(2) ولتفصيل هذا الموضوع أكثر ينظر: د. غانم قدوري الحمد، رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية: ص 172 - 186، والميسر في علم رسم المصحف وضبطه: ص 185 - 192.

(3) المنجد: دراسات في تاريخ الخط العربي: ص 44.

(4) الجامع لأحكام القرآن: 17/93.

(5) الجامع لأحكام القرآن: 17/93-94.

(6) الجامع لأحكام القرآن: 17/94.

في المصحف بالهاء، فلا تترك. واختار أبو عبيد أن يُتعمد الوقف عليها ليوافق اللغة في إلحاق الهاء في السكت ويوافق الخط⁽¹⁾.

ثالثاً: البدل:

جاء عدد من الكلمات مرسومة في المصحف برسم أحد أصواتها بحرف غير الحرف الخاص به، وغلب ذلك في رسم الألف، فرسمت تارة واوا وأخرى ياء، وقد وقفت على بعض الإشارات التي ذكرها القرطبي في هذه المسألة، منها:

• إبدال الألف واوًا:

ذكر القرطبي تعليلاً لغويًا لكتابة الواو بدل الألف في كلمة: ﴿الرَّبَّوْا﴾ [البقرة: 275] إذ قال: (اختلف النحاة في لفظ: ﴿الرَّبَّوْا﴾ فقال البصريون: هو من ذوات الواو، لأنك تقول في تثنيته: ربوان، قاله سيبويه⁽²⁾. ونقل القرطبي في موضع آخر أن سيبويه (حكى أن من العرب من يقول: (الصلاة) و(الزكاة) يومئ إلى الواو، ولهذا كتبتا في المصحف بالواو)⁽³⁾.

ونقل عن الكوفيين قولهم: (يُكتب - الربى - بالياء، وتثنيته بالياء، لأجل الكسرة التي في أوله)⁽⁴⁾. وقال في موضع آخر: (وقياس كتابته - الربى - بالياء للكسرة في أوله، وقد كتبوه في القرآن بالواو)⁽⁵⁾.

وتعقب هذا القول الزجاج وشنع عليه إذ قال: (ما رأيت خطأ أقبح من هذا ولا أشنع! لا يكفيهم الخطأ في الخط حتى يخطئوا في التثنية وهم يقرءون: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِّن رَّبِّا لَّيْرَبُّوْا فِى أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ [الروم:

[39] ⁽⁶⁾.

ثم نقل القرطبي تعليلاً آخر إذ حكى عن محمد بن يزيد المبرد قوله: (كتب ﴿الرَّبَّوْا﴾ في المصحف بالواو فرقا بينه وبين الزنا، وكان الربا أولى منه بالواو، لأنه من ربا يربو)⁽⁷⁾. واستبعد أستاذنا الدكتور غانم قدوري الحمد هذا التعليل إذ قال: (وهو أبعد؛ لأن سياق الكلام لا يترك اشتباها بينهما من جهة المعنى إلا في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّيْنَى﴾ [الإسراء: 32] ⁽⁸⁾.

• إبدال الألف نونًا:

أشار القرطبي إلى إبدال النون ألفًا في أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾ [يوسف: 32]، إذ قال: (وخط المصحف ﴿وَلَيَكُونَنَّ﴾ بالألف، وتقرأ بنون مخففة للتأكيد، ونون التأكيد تثقل وتخفف والوقف على قوله: ﴿لَيُسْجَنَنَّ﴾ [يوسف: 32] بالنون؛ لأنها مثقلة، وعلى ﴿لَيَكُونَنَّ﴾ بالألف؛ لأنها مخففة، وهي تشبه نون الإعراب في قولك: رأيت رجلاً زيدًا وعمراً، ومثله قوله: ﴿لَنَسْفَعًا بِاللَّاصِيَةِ﴾ [العلق: 15]، ونحوها الوقف عليها بالألف)⁽⁹⁾.

• رسم هاء التانيث تاء:

نقل القرطبي تعليلاً لبعض العلماء لما رسم من تاء التانيث بالهاء أو التاء في المصحف في أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: 74] إذ قال: وقال أبو بكر الأنباري: إن تاء (قُرَّة) تكتب تاء على لغة من يُجري الوصل على الوقف، كما كتبوا: ﴿رَحِمَتْ اللَّهُ﴾ [البقرة: 218] بالتاء⁽¹⁰⁾.

(6) الجامع لأحكام القرآن: 390-389/4.

(7) الجامع لأحكام القرآن: 390/4.

(8) أبحاث في رسم المصحف: ص 118.

(9) الجامع لأحكام القرآن: 339-338/11.

(10) الجامع لأحكام القرآن: 35/17.

(1) الجامع لأحكام القرآن: 206/21.

(2) الجامع لأحكام القرآن: 389/4.

(3) الجامع لأحكام القرآن: 406-405/13.

(4) الجامع لأحكام القرآن: 389/4.

(5) الجامع لأحكام القرآن: 382/4.

تلك الإشارات:

ذكر القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَأَهْبَبَ لَكَ﴾ [مريم: 19] القراءة الواردة فيها إذ قال: (وقرأ ورش عن نافع «ليهب لك» على معنى أرسلني الله ليهب لك. وقيل: معنى «لأهب» بالهمز محمول على المعنى، أي: قال: أرسلته لأهب لك. ويحتمل «ليهب» بلا همز أن يكون بمعنى المهموز، ثم خففت الهمزة)⁽⁴⁾.

وفي هذا النص إشارة إلى تخفيف الهمزة، فقد رجح ذلك مكّي بن أبي طالب إذ قال: (وحجة من قرأ بالياء أنه يحتمل أن يكون أراد الهمزة، ولكن خففها، فأبدل منها ياء لانكسار ما قبلها، على أصول التخفيف في المفتوحة، قبلها كسرة، فتكون كالقراءة بالهمز في المعنى، ويجوز أن تكون الياء للغائب، فأجراه على الإخبار من الرب تعالى ذكره، لتقدم ذكره، فالمعنى: إنما أنا رسول ربك ليهب لك ربك غلاماً)⁽⁵⁾.

خامساً: المقطوع والموصول:

تحدث علماء الرسم عن توجيه المقطوع والموصول في رسم المصحف، وقالوا: إن كل ما فصل على الأصل، وأن كل ما وصلوه فعلى الاختصار والاستخفاف⁽⁶⁾، وقد أشار القرطبي إلى بعض الكلمات التي حدث فيها إدغام في مواضع وفصل في مواضع أخرى، ومنها:

● مِنْ مَا:

ذكر القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [السجدة: 16] أَنَّ (ما) تكون بمعنى (الذي)، وتكون مصدرًا، وفي كلا الوجهين

وقال القرطبي في موضع آخر: (و﴿رَحْمَةً﴾ تكتب ويوقف عليها بالهاء، وكذلك كل ما كان مثلها، لا اختلاف فيها بين النحويين، واعتلوا في ذلك أن هذه الهاء لتأنيث الأسماء فرقا بينها وبين الأفعال)⁽¹⁾.

وذكر في موضع آخر في أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿عَلَى بَيِّنَاتٍ مِّنْهُ﴾ [فاطر: 40]، القراءتين بالإفراد أو الجمع إذ قال: (قرأ ابن كثير وأبو عمرو وهمزة وحفص عن عاصم: ﴿عَلَى بَيِّنَاتٍ﴾ بالتوحيد، وجمع الباقون. والمعنيان متقاربان إلا أن قراءة الجمع أولى، لأنه لا يخلو من قرأه: ﴿عَلَى بَيِّنَاتٍ﴾ من أن يكون خالف السواد الأعظم، أو يكون جاء به على لغة من قال: جاءني طلحت، فوقف بالتاء، وهذه لغة شاذة قليلة، قاله النحاس)⁽²⁾.

نخلص مما تقدم أنه يمكن حمل تعليل رسم بعض الكلمات بالتاء على سببين: الأول: رسمت تاء بناء على الوصل، أو أنها رسمت على لغة وأنها رسمت بناء على أصل الكتابة العربية القديم، وكان الصحابة رضي الله عنهم وهم يكتبون المصاحف قد: (عاملوا في كثير من الكتابة اللفظ والوصل، دون الأصل والقطع) كما قال الداني⁽³⁾.

رابعاً: رسم الهمزة:

لقد تنوع أداء الهمزة في النطق، وتعدد شكلها في الرسم، وما تناوله الإمام القرطبي في تفسيره من ظواهر الرسم المتعلقة برسم الهمزة قليل جداً، لا يتجاوز بضعة أمثلة، وهو أمر غير مستغرب، لأن ذكر تفاصيل ذلك موضعه في كتب رسم المصحف، وكتب علماء العربية، وفيما يأتي بعض

(1) الجامع لأحكام القرآن: 13/406. وينظر: النحاس: إعراب القرآن: 3/4.

(2) الجامع لأحكام القرآن: 17/393-394.

(3) ينظر: الميسر في علم رسم المصحف وضبطه: ص-230.

(4) الجامع لأحكام القرآن: 13/429-430.

(5) الكشف عن وجوه القراءات: 2/86.

(6) الجهني: البديع: ص85.

بأدلة، منها: قوله: (إني تعمدت النظر في الذي يقال له الإمام- مصحف عثمان- فوجدت التاء متصلة مع حين قد كتبت: تحين)⁽⁶⁾، وتعقبه القرطبي ورد عليه فقال: (وأما احتجاجه بأنه وجدها في الإمام «تحين» فلا حجة فيه؛ لأن معنى الإمام أنه إمام المصاحف فإن كان مخالفا لها فليس بإمام لها، وفي المصاحف كلها «ولات»، فلو لم يكن في هذا إلا هذا الاحتجاج لكان مقنعا)⁽⁷⁾.

• كأين، ويكأن:

ذكر القرطبي في أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَكَايِّنَ مِّن نَّبِيٍّ﴾ [آل عمران: 146] ما يتعلق بأصل كلمة: (كأين) إذ قال: ﴿كَايِّنَ﴾ بمعنى: كم. قال الخليل وسيبويه: هي: (أي) دخلت عليها كاف التشبيه وبنيت معها، فصار في الكلام معنى: (وكم) وصورت في المصحف نوّناً؛ لأنها كلمة نقلت عن أصلها فغير لفظها لتغير معناها، ثم كثر استعمالها فتلعبت بها العرب وتصرفت فيها بالقلب والحذف، فحصل فيها لغات أربع قرئ بها)⁽⁸⁾. ونقل عن النحاس قوله: (ووقف أبو عمرو «وكأي» بغير نون، لأنه تنوين.. ووقف الباقون بالنون اتباعاً لخطّ المصحف)⁽⁹⁾.

وأما (ويكأن، ويكأنه) فقد وقع في موضعين اثنين الأول: ﴿وَيَكْأَنَّ اللَّهَ﴾ والثاني: ﴿وَيَكْأَنَّهُ﴾ كلاهما في الآية 82 من سورة القصص، ذكرهما أبو عمرو بالوصل عن محمد عن ابن الأنباري،

يجب أن تكون منفصلة من (من)⁽¹⁾. و(ما) في هذا الموضع موصولة بـ (من) في رسم المصحف، وذكر الداني في المقنع أن (من ما) مقطوعة في ثلاثة مواضع: (الآية 25 من سورة النساء، والآية 28 من سورة الروم، والآية 10 من سورة المنافقين)⁽²⁾.

• عَنْ مَا:

كُتِبَتْ (عن ما) موصولة في كل القرآن (عمّاً)، إلا موضع واحد في الأعراف رسم مفصّلاً وهو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَّآئِهِمْ﴾ [166]، وأما موضع (عمّ) في أول سورة النبأ فقد ذكره القرطبي في تفسيره إذ قال: أصل: (عمّ): لفظ استفهام، ولذلك سقطت منها ألف (ما)، لتمييز الخبر عن الاستفهام. وكذلك (فيمّ، وممّ) إذا استفهمت. وقال الزجاج: أصل (عمّ): (عن ما)، فأدغمت النون في الميم؛ لأنها تشاركها في الغنة)⁽³⁾. وهي موصولة بلا خلاف⁽⁴⁾.

• ولات حين:

نقل القرطبي قول النحويين في انقطاع رسم الكلمة في قوله تعالى: ﴿وَلَاتَ حِينَ﴾ [ص: 3] إذ قال: (وكان الكسائي والفراء والخليل وسيبويه والأخفش يذهبون إلى أن «ولات حين» التاء منقطعة من (حين)، ويقولون معناها وليست. وكذلك هو في المصاحف الجدد والعتق بقطع التاء من (حين). وإلى هذا كان يذهب أبو عبيدة معمر بن المثنى. وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: الوقف عندي على هذا الحرف «ولا» والابتداء «تحين مناص» فتكون التاء مع (حين)⁽⁵⁾. واستدل أبو عبيد لقوله

المقنع: ص 81.

(6) الجامع لأحكام القرآن: 18/129، وينظر: المقنع: ص 81.

(7) الجامع لأحكام القرآن: 18/132.

(8) الجامع لأحكام القرآن: 5/349.

(9) الجامع لأحكام القرآن: 5/354.

(1) الجامع لأحكام القرآن: 17/33.

(2) ينظر: الداني: المقنع في رسم مصاحف الأنصار: ص 74.

(3) الجامع لأحكام القرآن: 22/5.

(4) ينظر: المقنع: ص 76.

(5) الجامع لأحكام القرآن: 18/128-129، وينظر:

لحذفت الألف من الخط، وأجاز في الفعلين الآخرين قراءة الحسن بإسكان اللام ووجهها بإفادة معنى التهديد، قال القرطبي: (واللام في ﴿وَلِتَصْغَى﴾ لام كي، والعامل فيها ﴿يُوحَى﴾ [الأنعام: 112] تقديره: يوحى بعضهم إلى بعض ليَعْرِضُوهم ولتصغى، وزعم بعضهم أمّا لام الأمر، وهو غلط؛ لأنّه كان يجب: (ولتصغى إليه) بحذف الألف، وإنّما هي لام كي. وكذلك ﴿وَلِيَرِضْوهُ وَيَقْتَرِفُوا﴾ إلا أنّ الحسن قرأ: «وليريضوه، وليقترفوا» بإسكان اللام، جعلها لام أمر فيه معنى التهديد، كما يقال: افعل ما شئت⁽⁴⁾.

وفي موضع آخر نقل القرطبي اختلاف المفسرين في تفسير قوله تعالى: ﴿وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التحريم: 4]، وقال بعضهم: أن (صالح) اسم جنس مفرد، وقال بعضهم الآخر: هم خيار المؤمنين، أي جمع منهم، فعلى المعنى الأول: جنس مفرد فيكون على أصله من دون واو فلا حذف فيه، وعلى المعنى الثاني: يكون جمع فينبغي أن يكون بالواو، لكنها حذفت منه خطأ. وقد أشار القرطبي إلى هذا وذكر المعنيين ووجه حذف الواو بقوله: (وكتب بغير واو على اللفظ؛ لأن لفظ الواحد والجمع واحد فيه. كما جاءت أشياء في المصحف متنوع فيها حكم اللفظ دون وضع الخط)⁽⁵⁾.

● الثاني: أثر الرسم العثماني في توجيه القراءات: أشار القرطبي في تفسيره إلى اعتبار الرسم العثماني في توجيه القراءات، وبعد التتبع في تفسيره وقفت على بعض الشواهد، منها:
ذكر القرطبي في أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَأَلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِيَدِنَا﴾ [يونس: 92] القراءات الواردة فيها، إذ أورد قراءتين: الأولى شاذة مع احتمالها

واتفقت المصاحف على ذلك⁽¹⁾، ونقل القرطبي في هذا الموضع قول الكسائي إذ قال: (وي: فيه معنى التعجب. ويروى عنه أيضا الوقف على (وي) وقال: كلمة تفجع. ومن قال: (ويك) فوقف على الكاف فمعناه أعجب؛ لأن الله ييسط الرزق وأعجب؛ لأنه لا يفلح الكافرون. وينبغي أن تكون الكاف حرف خطاب لا اسما؛ لأن (وي) ليست مما يضاف. وإنما كتبت متصلة؛ لأنها لما كثر استعمالها جعلت مع ما بعدها كشيء واحد)⁽²⁾.

المبحث الثالث : أثر الرسم العثماني في التفسير عند القرطبي

اعتنى الإمام القرطبي بالرسم العثماني، وذكر بعضاً من ظواهره، ووجه بعضها الآخر، وذكر عللاً نطقية أو لغوية متعلقة بالرسم، وأفاد القرطبي من بعض ظواهر الرسم في بيان معنى الألفاظ القرآنية، والترجيح بين معاني القراءات، وفيما يأتي بعض الشواهد على ذلك:

● أولاً: أثر الرسم في بيان معاني القرآن:

ذكر القرطبي في أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفِيْدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرِضْوهُ وَيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: 113] بعضاً من المعاني المتعلقة بالرسم والقراءات، إذ منع أن تكون اللامات في هذه الأفعال الثلاثة: ﴿وَلِتَصْغَى﴾، ﴿وَلِيَرِضْوهُ﴾، ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا﴾، على قراءة من يكسرهما هي لام الأمر المتضمنة الوعيد والتهديد، مع بقاء الألف في رسم ﴿وَلِتَصْغَى﴾ في جميع المصاحف⁽³⁾. وذكر أنه لو كان معنى فعل (ولتصغى) على الأمر

(1) ينظر: المنع: ص 81.

(2) الجامع لأحكام القرآن: 327-326/16.

(3) أبو داود سليمان بن نجاح: مختصر التبيين: 3/510،

والجامع لأحكام القرآن: 8/504-505.

(4) الجامع لأحكام القرآن: 8/504-505.

(5) الجامع لأحكام القرآن: 8/85-86.

من كفره الذي منه نداؤه الذي افترى فيه وهبت،
وآدعى القدرة والأمر الذي يعلم أنه كاذب فيه،
وعاجز عنه، وغير مستحق له⁽⁴⁾.

ثم أعقب ذلك بقول أبي بكر الأنباري الذي
اختار توجيه القراءة المتواترة على الشاذة كونها
تتضمن معناها وزيادة فقال: (فقراءتنا تتضمن ما
في القراءة الشاذة من المعاني وتزيد عليها)⁽⁵⁾.

وفي موضع آخر ذكر القرطبي في تفسيره لقوله
تعالى: ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنَّ مَقْبُوضَةً﴾ [البقرة:
283] القراءات الواردة فيها وتوجيه كل قراءة، إذ
قال: (قرأ الجمهور «كاتبًا» بمعنى رجل يكتب.
وقرأ ابن عباس وأبي ومجاهد والضحاك وعكرمة
وأبو العالية: «ولم تجدوا كاتبًا». قال أبو بكر
الأنباري: فسره مجاهد فقال: معناه فإن لم تجدوا
مِدَادًا يعني في الأسفار. وروي عن ابن عباس
«كُتَابًا» قال النحاس: هذه القراءة شاذة والعامّة على
خلافها. وقلما يخرج شيء عن قراءة العامة إلا وفيه
مطعن، ونسق الكلام على كاتب، قال الله عز وجل
قبل هذا: ﴿وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ [البقرة:
282] و«كُتَابٌ يقتضي جماعة»⁽⁶⁾.

وذكر القرطبي قراءة أخرى إذ قال: (وحكى
المهدوي عن أبي العالية أنه قرأ: «كُتَبًا»، وهذا جمع
كتاب من حيث النوازل مختلفة. وأما قراءة أبي
وابن عباس: «كُتَابًا» فقال النحاس ومكي: هو
جمع كاتب كقائم وقيام)⁽⁷⁾.

ونقل القرطبي توجيه مكي بن أبي طالب
للقرأتين- (كُتَابًا)، و(كُتَبًا)- واستحسنهما من حيث
المعنى إلا إنه ألمح أنهما خلاف خط المصحف، إذ

الرسم، والثاني متواترة، إذ قال: (وقرأ اليزيدي وابن
السميفع: «نحيك» بالحاء، من التنحية، وحكاها
علقمة عن ابن مسعود، أي: تكون على ناحية
من البحر.. وحكى علقمة عن عبد الله أنه قرأ:
«بندائك» من النداء)⁽¹⁾. فتكون تنمة القراءة على
هذا الوجه: (فاليوم نُنْحِيكَ بندائك).

ثم نقل القرطبي تعقب أبي بكر الأنباري
على هذه القراءة إذ قال: (وليس بمخالف لهجاء
مصحفنا، إذ سبيله أن يكتب بياء وكاف بعد الدال؛
لأن الألف تسقط من (ندائك) في ترتيب خط
المصحف كما سقط من (الظلمات) و(السموات)،
فإذا وقع بها الحذف؛ استوى هجاء (بدنك)
و(ندائك)، على أن هذه القراءة مرغوبٌ عنها
لشذوذها وخلافها ما عليه عامّة المسلمين، والقراءة
سُنَّةٌ يأخذها آخرٌ عن أول، وفي معناها نقصٌ عن
تأويل قراءتنا)⁽²⁾.

ثم ذكر معنى القراءة المتواترة، فقال: ﴿نُنْحِيكَ
بِيَدَيْكَ﴾ احتمل معنيين: أحدهما: نُلْقِيكَ على نجوة
من الأرض. والثاني: نُظْهِرُ جَسَدَكَ الذي لا روح
فيه)⁽³⁾. ومن بعد ذكر توجيه القراءة الشاذة فقال:
(والقراءة الشاذة «بندائك» يرجع معناها إلى معنى
قراءة الجماعة؛ لأن النداء يفسر تفسيرين:

أحدهما: نلقيك بصياحك بكلمة التوبة وقولك
-بعد أن أغلق بابها ومضى وقت قبولها-: ﴿ءَامَنْتُ
أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُوءًا إِسْرَائِيلَ وَأَنَا
مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: 90] على موضع رفيع.

والآخر: فاليوم نَعَزِلُكَ عن غامض البحر
بندائك لما قلت: أنا ربكم الأعلى، فكانت تنجيته
بالبدن معاقبة من رب العالمين له على ما فرط

(4) الجامع لأحكام القرآن: 11/50.

(5) الجامع لأحكام القرآن: 11/50.

(6) الجامع لأحكام القرآن: 4/465.

(7) الجامع لأحكام القرآن: 4/466.

(1) الجامع لأحكام القرآن: 11/48.

(2) الجامع لأحكام القرآن: 11/48.

(3) الجامع لأحكام القرآن: 11/50.

وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿: قل: لمن السموات السبع و لمن العرش العظيم، فكان الجواب (الله)؛ حين قَدَّرت اللام في السؤال. وعلّة الثالثة كعلّة الثانية)⁽³⁾.

الخاتمة

بعد هذا العرض الموجز لمسائل الرسم العثماني في تفسير الإمام القرطبي خلصت الدراسة إلى الآتي:

1. اشتمل تفسير القرطبي على قدر لا بأس به من قضايا الرسم العثماني وظواهره ومسائله، وتاريخه، وما يتعلق برسم بعض الكلمات.
2. أفرد الإمام القرطبي أبواباً في مقدمة تفسيره تحدث فيها عن تاريخ الرسم ونشأته وإشكالاته بالتفصيل.
3. نص على أن ما كتبه الصحابة في المصحف من رسوم سنة متبعة في كتابة المصاحف، يلزم التمسك به والمحافظة عليه.
4. تضمن تفسير القرطبي قواعد وأصولاً عامة في الرسم العثماني، أفادها ممن سبقه من الأئمة المفسرين، كابن عطية وغيره.
5. اعتنى الإمام القرطبي بتوجيه ظواهر الرسم العثماني التي لها تعلق بالقراءات خاصة، وأشار إلى أثر ذلك في بيان بعض المعاني القرآنية، وتوجيه القراءات.
6. اعتمد الإمام القرطبي في إيراد بعض مسائل الرسم وما يتعلق بموافقة خط المصحف أو مخالفته على كتاب الرد على من خالف مصحف عثمان لأبي بكر الأنباري، وهو كتاب ما زال في عداد المفقود.

والله أسأل أن يجعل هذا البحث خالصاً لوجهه

وأن ينفع به، إنه سميع قريب مجيب.

قال: (المعنى وإن عدت الدواة والقلم والصحيفة. ونفسي وجود الكاتب يكون بعدم أي آلة اتفق، ونفي الكاتب أيضاً يقضى نفي الكتاب، فالقراءتان حسنتان إلا من جهة خط المصحف)⁽¹⁾.

وذكر في موضع آخر في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ [يونس: 71] القراءات الواردة فيها، ونقل أقوال أئمة اللغة والقراءات في تأويل إعرابها فقال: (والقراءة الثالثة على أن يعطف الشركاء على المضمرة المرفوعة في أجمعوا، وحسن ذلك؛ لأن الكلام قد طال. قال النحاس وغيره: وهذه القراءة تبعده؛ لأنه لو كان مرفوعاً لوجب أن تكتب بالواو، ولم يُر في المصاحف واو في قوله ﴿وَشُرَكَاءَكُمْ﴾، وأيضاً فإن شركاء هم الأصنام، والأصنام لا تصنع شيئاً ولا فعل لها حتى تجمع)⁽²⁾. وفي تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [سَيَقُولُونَ لِلَّهِ] [المؤمنون: 87-86] ذكر القرطبي القراءات الواردة فيها فقال: (وقرأ أبو عمرو: (سيقولون الله) في الموضوعين الأخيرين، وهي قراءة أهل العراق. والباقون: (الله)).

ولا خلاف في الأول أنه (الله)؛ لأنه جواب لـ «قل لمن الأرض ومن فيها»، فلما تقدمت اللام في (لمن) رجعت في الجواب، ولا خلاف أنه مكتوب في جميع المصاحف بغير ألف.

وأما من قرأ: (سيقولون الله) فلأن السؤال بغير لام، فجاء الجواب على لفظه، وجاء في الأول: (الله) لما كان السؤال باللام.

وأما من قرأ: (الله) باللام في الأخيرين وليس في السؤال لام، فلأن معنى ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ

(1) الجامع لأحكام القرآن: 4/466.

(2) الجامع لأحكام القرآن: 11/23.

(3) الجامع لأحكام القرآن: 80-79/15.

761هـ)، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق: عبد الغني الدقر، (الشركة المتحدة للتوزيع، سوريا).

8. أبو داود: سليمان بن نجاح بن أبي القاسم الأموي بالولاء، الأندلسي (ت 496هـ)، مختصر التبيين لهجاء التنزيل، تحقيق: أحمد شرشال، (مجمع الملك فهد - المدينة المنورة، 1423هـ - 2002م).

9. أبو عبيد: القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (ت 224هـ)، فضائل القرآن، تحقيق: مروان العطية (ت 1444هـ)، ومحسن خرابة (ت 1440هـ)، وفاء تقي الدين (توفيت 1428هـ)، دار ابن كثير (دمشق - بيروت، ط 1، 1415هـ - 1995م).

10. الأنباري: أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار (ت 328هـ)، إيضاح الوقف والابتداء، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، (مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1390هـ - 1971م).

11. الجهني: أبو عبد الله محمد بن يوسف بن أحمد بن معاذ القرطبي الأندلسي (ت نحو 442هـ)، البديع في معرفة ما رسم في مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، (دار الغوثاني، دمشق، ط 1، 1438هـ - 2017م).

12. الداني: أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر (ت 444هـ) المقنع في رسم مصاحف الأنصار، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، (مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة).

13. الداني: أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر (ت 444هـ)، جامع البيان في القراءات

المصادر والمراجع

1. ابن أبي داود: أبو بكر بن أبي داود، عبد الله

بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت 316هـ) المصاحف، تحقيق: محمد بن عبده، (الفاروق الحديثة، مصر، القاهرة، ط 1، 1423هـ - 2002م).

2. أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت 241هـ)، حققه شعيب الأرنؤوط (ت 1438هـ)، وعادل مرشد، وآخرون، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1421-2001م).

3. ابن الجزري: شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف (ت 833هـ)، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع (ت 1380هـ)، (المطبعة التجارية الكبرى، [تصوير دار الكتاب العلمية، بيروت]).

4. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت 808هـ)، المقدمة، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط 3.

5. ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت 542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1422هـ).

6. ابن مجاهد: أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت 324هـ)، السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، (دار المعارف، مصر، ط 2، 1400هـ).

7. ابن هشام: أبو محمد، جمال الدين، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف (ت

20. القرطبي: أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1442هـ-2021م.
21. القيسي: أبو محمد مكّي بن أبي طالب (ت 437هـ)، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1401هـ - 1981م).
22. مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت 261هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، (ثم صورته دار إحياء التراث العربي ببيروت، وغيرها) 1374هـ - 1955م).
23. المنجد، صلاح الدين: دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، (دار الكتاب الجديد، بيروت، 1972م).
24. النحاس: أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت 338هـ)، إعراب القرآن، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ).
25. النسفي: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت 710هـ): مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، (دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419هـ - 1998م).
- السبع، أصل التحقيق: رسائل ماجستير من جامعة أم القرى وتم التنسيق بين الرسائل وطباعتها بجامعة الشارقة، (جامعة الشارقة - الإمارات، ط1، 1428هـ - 2007م).
14. الزمخشري: جار الله محمود بن عمر بن أحمد (ت 835هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ضبطه وصححه ورّبه: مصطفى حسين أحمد، (دار الريان للتراث بالقاهرة، دار الكتاب العربي ببيروت، ط3، 1407هـ - 1987م).
15. السخاوي: أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد علم الدين السخاوي المصري الشافعي (ت 643هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق وتعليق: د موسى علي موسى مسعود، د أشرف محمد بن عبد الله القصاص، (دار النشر للجامعات، ط1، 1430هـ - 2009م).
16. غانم قدوري الحمد: أبحاث في رسم المصحف وضبطه، (نشر جمعية المحافظة على القرآن، عمان، ط1، 1439هـ-2018م).
17. غانم قدوري الحمد: رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، (دار عمار للطباعة والنشر، عمان، الأردن، 1430هـ-2009م).
18. غانم قدوري الحمد: الميسر في علم رسم المصحف وضبطه، (نشر معهد الإمام الشاطبي، جدة، السعودية، ط1، 1433هـ-2012م).
19. الفراء: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت 207هـ)، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، (دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط1).

